معاشا ينعم به فى شيخوخته لكى لايصبح حملة على غيره ، بعد ما كان فى شبابه عاملا مفيدا للمجتمع .

وواجب على الشباب المتعلم أن يبث الدعوة بين طبقات الموظفين والعمال وفقراء التجار والزراع لتشكيل الجمعيات التعاونية

وانى على استعداد لابداء النصح والارشاد عن طيب خاطر لكل هيئة تألف لتأسيس جمعية للتعاون فى التأمين على الحياة ، لأنى ممن يدينون بمبدأ التعاون ، ويعتقدون صلاحية المنشآت التعاونية لانقاذ الطبقات العاملة الفقيرة من شتى المخاطر التى يستهدفون لها .

وليس بكاف ان يوجد فى مصر اربع جمعيات تعاونية للتأمين على الحياة ، تعمل كل واحدة منها فى دائرة ضيقة ، فلا تحتضن إلا عددا قليلا من الاعضاء . واقدمها جمعية تعاون موظفى البريد التى اسسها المرحوم يوسف سابا باشا فى سنة ١٨٩٣ ، ثم تبعتها جمعيتا تعاون الصيارفة والمساحين . وجمعية تعاون موظفى الصحة التى أسسها حديثا الدكتور شاهين باشا فى فبراير سنة ١٩٣٤ . ولقد أخذت الجمعيات الثلاث الاخيرة نظامها عن نظام جمعية البريد .

وليس هذا مجال نقد أنظمة تلك الجمعيات ، وانما نكتفى بالاشارة الى انها لاتقوم على أساس علمى صحيح فى تحديد الاقساط وتوزيع المكافآت ، بل على طريقة فطرية لاتمثل فيها العدالة بين جميع الاعضاء وتعرضها لخطر الافلاس ، برغم أن موازينها تبدو لغير الفنيين فى مظاهر اليسر . فأن خطر الافلاس لا يمكن أن يدرك مداه فى جمعيات التعاون فى التأمين غير الفنيين ، خصوصا وأن موازين تلك الجمعيات لاتبين القيمة الحالية لمعدلاتها ازاء اعضائها . ونأمل أن تسرع هذه الجمعيات الى اصلاح نظامها على أساس القواعد العلمية الحديثة قبل فوات الأوان .

ولا يزال المجال متسعا لمن يريد أن يسجل التاريخ اسمه بين ابطال التعاون فى مصر ، فأن من يقوم بتأسيس جمعية تعاونية فى التأمين على الحياة ، على أساس التعاليم الحديثة ، يقدم للانسانية خدمة جليلة ، ويسدى لأمته خيرا كثيرا .

طه عفيفى

عضو بعثة التأمين سابقاً

٢ — بين المعرى ودانتى

بقلم الشيخ محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميديا المقدسة

تحدثنا فيما سبق عن رسالة ابن القارح ، وأن أسلوبها أثار فى نفس المعرى رغبة فى الضرب على غرارها ، والاتجاه مع تيارها . بيد أن المعرى أرانا أفانين من الخيال مما يحدونا أن نقول : إن رسالة ابن القارح وإن تكن أثارت لديه فكرة نقد الشعراء ، ومحاورة الرواة والأدباء . . فلا يدور بخلدنا أنها كونت فيه روحاً ليست عنده ، أو ألهمته فكرة لم يكن هضمها من قبل . على أنها وإن ذكرته الحوار والنقد فان ثوب الخيال الذى ألقاه أبو العلاء على رسالة غفرانه يتسامى عن طوق ابن القارح وآلاف مثله . وما كان ابن القارح ليستطيع أن يتخيل تلك الرحلة العجيبة فى طبقات الجنان ، وبين دركات الجحيم .

ولدينا برهان قوى على أن المعرى لم يسلك سبيلا عبدها له ابن القارح ، وأن رسالته ما كانت غير سبب مباشر ، نبه من المعرى فكرة راسخة . ذلك البرهان هو رسالة الملائكة التى نرى فيها خيال المعرى يطوف بالجنة وبالنار يقرع أبوابهما ، ويمزح مع الخزنة والحراس والملائكة فى محاورة تستهوى اللب ، وتضحك أشد الناس عبوسا . إذ يحاور عزرائيل حين يزوره زورة الموت ، فيقول له : أمهلنى ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل . ولكن ملك الموت اذا جاء لايؤخر عمله ، فيستل روحه من بين جنبيه ، ثم يقذف به الى القبر فيلقى منكرا ونكيرا . وبدلا من أن يجيب سؤالهما . يبتدرهما هو بالسؤال فيقول : كيف جاء اسماكما عربيين منصرفين وأسماء الملائكة كلها أعجمية مثل اسرافيل وجبرائيل وميكائيل ؟

فيقولان هات حجتك . . وكأنى بأحدهما يهوى اليه (بالارزبة) فيتملقهما قائلا . فدكان ينبغى لكما أن تعرفا وزن ميكائيل وجبرائيل على اختلاف اللغات إذ كانا أخويكما فى الله عز وجل . فلا يزيدهما ذلك إلا غيظا . . ثم يتخيل أنه تلاقى مع (مالك) خازن النيران فيحاوره لا فى العذاب ولا فى الزبانية . ولكن فى أوزان الاسماء وجمعها فيقول له : أخبرنى — رحمك الله — ما واحد الزبانية ؟

فيعبس مالك لما يسمع ويكفهر . ثم يسائله عن (غسلين) قائلا أهو مصدر أم واحد أم جمع ؟ . ويحاوره فى (جهنم) سائلا : هل النون فى جهنم زائدة ؟ فيجيبه مالك بقوله : ما أجهلك وأقل تمييزك ؟ ما جلست هنا للتصريف ولكن جلست لعقاب الكفرة والمشركين والقاطين . ثم يذهب فى جماعة من الادباء الى رضوان خازن الجنان فيناديه بعضهم قائلا . (يارضوْ) بالترخيم . فيقول لهم . ما حاجتكم ؟ فيقول بعضهم : نسألك أن تكون واسطتنا لدخول الجنة فانهم لا يستغنون عن مثلنا : فقبح بالعبد أن ينال هذه النعم وهو اذا سبح الله لحن . . ولعل فى الفردوس قوما لا يدركون أحرف (الكشرى) أكلها أصلية أم بعضها زوائد ؟ فيبتسم رضوان ويقول : ان أهل الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون :

فانصرفوا ـ رحمكم الله ـ فقد أكثرتم الكلام فيما لامنفعة فيه ، فيطلبون لقاء (الخليل بن أحمد) فيطل عليهم قائلا : ماذا تريدون ؟ فيعرضون عليه مثل ماعرضوا على رضوان فيقول لهم : إن الله جلت قدرته جعل من يسكن الجنة ممن يتكلم بكلام العرب ناطقا بأفصح اللغات كما نطق بها (يعرب بن قحطان أو معد بن عدنان) فاذهبوا راشدين ـ ان شاء الله ـ فينصرف الأدباء وتنتهى رسالة الملائكة . تلك التى تتلمس من أسلوبها وخيالها أن رسالة الغفران أينعت فى نفس أبى العلاء فأرسلها تحمل صنعته على الرواة الذين صحفوا أحاديث الشعراء . وعلى الشعراء الذين نجوا من عذاب الله دون عمل يسلك بهم سبيل النجاة (فى رأيه)

وأما دانتى فقد علمنا أنه عذب وشرد فى الآفاق . . وحكم عليه بالاعدام حرقا . ثم كان محبا من قبل ذلك لبياتريشى Beatrice وتفتحت أزهار حياته الأولى على أيدى القديسين والرهبان يغرسون فى نفسه بذور التفكير فى الجنان والنيران . وعذاب العصاة ونعيم الطائعين . فلما أوشك أن ينطفىء سراج حياته ، وأذنت شمسه بالمغيب قيل وذاته بأسابيع قلائل نظر وراءه فرأى قوما اضطهدوه وشردوه ورأى حبا مضاعا لم يستمتع به ثار فى نفسه ما ينور فى كل نفس عجزت عن نيل الامانى فعمدت للخيال تحقق به ما أضلته فى الحقيقة . وتخيل رحلته فى الجحيم وفى النعيم يلقى فى جهنم من شردوه وعذبوه ويلقى فيها البابا بونيفاشيو Bonifazio الذى كان السبب فى تشريده وتشتيت شمله ، يراه فى الدرك الثامن من جهنم فى ثلة من المعذبين أمثاله غرست رؤوسهم واكتافهم الى الأسفل فى حفر عميقة . وأما بقية أجسامهم فقد ظلت معرضة لوابل النيران التى كانت تنصب عليها جراء على اتجارهم بالدين . واتخاذهم من اسم الله ذريعة لجلب المنفعة لأشخاصهم ، ويرى فيها الكونت جويدو منفيلترو monfeltro di Guido الذى خدعه البابا بونيفاشيو . . ويرى بياتريشى حبيبته فى طبقات الجنان مستمتعا عن طريق الخيال بعالم يستطعه لدى الحقيقة . ووصف استقبالها عند باب الجنان وصفا هو أخصب ناحية فى أدبه . وسنذكر ذلك الوصف كاملا غير منقوص حين الحديث عن الموازنة بين الخيالين عند الشاعرين . أفرأيت اذن كيف كانت الحوافز النفسية الخاصة تدفع كلا من الشاعرين أن يتخيل تلك الرحلة العجيبة ؟ نعم كل منهما كان فى نفسه نزوع لما كتب

هل سرق دانتى رسالة المعرى ؟

مسألة طال حولها الحوار والجدل ، ولم نر دليلا ماديا على السرقة أو على البراءة منها . ولكن قوما يردونها . . فقد قال الاستاذ محمد كرد على : ان أعمى المعـــرة كان معلما النابغة إيطاليا فى الشعر والخيال . وبعض الباحثين من المستشرقين فى أوروبا على أن دانتى فى روايته الآلهية قد اقتبسها ـ ولا سيما الجحيم ـ من رسالة الغفران للمعرى

وقال جورجى زيدان : إن المعرى توفى سنة ٤٤٩ هـ ودانتى توفى سنة ٧٢٠ هـ ، وملتن الانجليزى توفى سنة ١٠٨٤ هـ . فلا بدع إذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . وأقدمهما (دانتى) لم يظهر الابعد احتكاك الافرنج بالمسلمين والايطاليان أسبق الافرنج إلى ذلك

ذلك هو رأى جورجى زيدان توسع فيه حتى أدخل ملتن أيضا فى الاقتباس من المعرى وحجته تأخر الزمن بدانتى وملتن واحتكاك الافرنج بالمسلمين ، فهل ذلك كله ينهض دليلا على اقتباس الفكرة أو يكفى برهانا على الأخذ ؟ المسألة لاتعدو الحدس والظن . وانا لنرى البراهين تنحاز ناحية دانتى فتبعده عن الأخذ عن الاقتباس .

فقد بدأ حياته يتعلم الدين ، يكفل ثقافته القديس فرانشسكر Francesca

ولقد كان عصره عهد قوة سلطان البابوات والكهنة . ولن يقوم لهؤلاء سلطان إلا بقوة النزعة الدينية . وإبان ذلك تتكاثر صور الجنة والنار واردة فى أخيلة الناس وأذهانهم . أليس فى نشأته الدينية ، وفى عهده الملىء بالتعصب الدينى مايكفى فى ان ترد الجنة

والنار فى خياله ؟ على ان فكرة الجنة والنار والنعيم والجحيم تدور برؤوس الناس منبلج الصباح وأفول الشمس فى كل يوم . فهى حق شائع لجميعهم لا يعده الأدباء أخذا . ولو أنهم عدوه لكان كل شعرائنا وأدبائنا سراقا . ولكان امرؤ القيس سارقا لانه بكى الديار كما بكاها ابن حذام من قبله ، اذ يقول امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وانما الذى يعده الأدباء سرقة هو أخذ الفكرة النادرة التى ينفرد واحد بها . أو الترتيب الذى لا يستطيعه الا الشواذ والأفذاذ فهل سرق دانتى الترتيب من رسالة الغفران ؟ اللهم لا

فحراس الجحيم فى خيال المعرى ملائكة ، وفى خيال دانتى شياطين ، وأشخاص الرواية عند المعرى شعراء ورواة . وعند دانتى رجال دين وعصاة ومذنبين ، والجنة عند دانتى تسعة أقسام لكل قسم طائفة عملوا الخيرات كل على حسب عمله . وعند المعرى ثلاثة أقسام « جنة الجن » وجنة (الرجاز) والجنة الاصلية .

وقد بلغ المعرى أسمى خياله لدى وصفه الفردوس . كما كان أخصب النواحى خيالا عند دانتى هو وصف الجحيم

وسنعرض لذلك بالموازنة التامة (ان شاء الله)

على أنه ان كان لابد من أن تتهم الشاعر الطليانى بالاقتباس . فأولى ان نعتقد أخذه من فرجيليو Virgilio الذى كان دليله فى رحلته وهاديه فى ظلمات الجحيم . ولفرجيليو هو الآخر رحلة فى أعماق الجحيم هى أقرب لخيال دانتى من رسالة الغفران

ولقد كانت لدانتى أحلام فيها ملائكة وفيها موتى ، هى إرهاص ومقدمة لرسالته العتيدة

فقد رأى فى حلم من الأحلام أنه ضل فى غابة موحشة فأطلت عليه محبوبته بياتريشى فى سحابة من الملائكة وعليها لهب قرمزى كأنه اللهب المتأجج . وخيل اليه أنه يتغلغل فى عالم الأموات

كما تحدث فى بعض أشعاره قائلا : ها أنذا جالس فى مكانى أذكرها وأذكر أيامها السعيدة فيلوح لى كأن ملائكة من السماء تهبط من عل وتأخذ أماكنها على المقاعد الموجودة حولى

فاذا ضممنا الى ذلك كله أن حبه أهم خيال الجنة ليستمتع بمن أحب ، وان بغضه لمن حاربوه ونفوه وشردوه يوحى اليه ان يتخيلهم فى دركات الجحيم ، وان تلك طبيعة النفس تشرئب لنيل آمالها ولو عن طريق الخيال . عرفنا براءته من السرقة

يتبع محمود احمد النشوى

٤ — بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عاش أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى أربعين عاما أمضى شطرها نائيا عن بلده وعشيرته فى طلب المجد والغنى ، فبلغ ما أراد . نبه ذكره واتصل بمعظم الأمراء والوزراء فى الشرق : شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وخلف بن أحمد ، وبنى قريغون ، وبنى ميكال والسلطان محمود ، والصاحب بن عباد ، والفضل بن أحمد ، وأبى نصر من وزراء الدولة الغزنوية . وعرف كثيرا من رؤساء نيسابور ، وطوس ، وسرخس ، ونسا ، وبلخ ، وهراة . وصار مطمح أصحاب الحاجات يتوسلون به الى أولى السلطان والجاه ، يتبين ذلك فى كثير من رسائله . وقد قال فى رسالة الى الشيخ أبى النصر فى أمر بعض الفقهاء : « وهؤلاء الصدور ، يرون الشمس من قبل تدور . » (١) يعنى أن الناس يرونه قادرا على تيسير حاجاتهم . وكان له عناية بالأمور العامة يبذل فيها من عقله وجاهه . كتب الى الوزير الفضل ابن أحمد مع وفد من هراة ذهبوا اليه يلتمسون تخفيف الخراج عن أهل مدينتهم ، وكتب الى رئيس هراة فى أموال رأى جبايتها اجحافا ؛ وكتب الى وزير السلطان محمود فى قتل رجل اسمه أبو عثمان : « والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل ، وتسامح الشيخ الجليل وتساهل ، ان الله بالانتصاف لملى ، وان الله على الانتقام لقوى ، والمحنة ادام الله عز الشيخ الجليل فى ذهاب ذلك العالم المسلم ، دون المحنة فى بقاء هذا الظالم المظلم ، ولئن ساغ لهذا الفاسق ما فعل ليرخص نجم المسلم ، وليراق دم العالم ، وليصيرن كل سكين منشور ولاية ، ثم ليتسعن الخرق على الراقع ، وليس دم المسلم بيسير عند ربه ، ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه ، أليس الله تعالى يقول : من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا ؛ وانا أعيذ بالله هذه الدولة من أن ترصم بتعطيل الحدود ، او توسم باعدار الدماء ، وعسى الله ان يوفق الشيخ الجليل لتدارك هذا الأمر ، ان ذلك على الله يسير

ويقول فى الرسالة نفسها : « ورد على خادم الشيخ الجليل

(١) الرسائل ص ١٠٩